جنة الدنيا

كتبه : د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

© أحمد بن عبدالرحمن القاضي ، ١٤٣١ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القاضي ، أحمد عبد الرحمن
جنة الدنيا / أحمد عبدالرحمن القاضي . - عنيزة ، ١٤٣١ هـ
ص ؛ ٢٠سم
ردمك : ٣-٠٣-٥٧٤٤-٩٧٨
١- الوعظ والإرشاد ٢- التربية الإسلامية أ العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٣١/٧٤٤٤
رقم الإيداع : ١٤٣١/٧٤٤٤
ردمك : ٣-٠٣-٥٧٤٤-٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل:٩٧]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، القائل: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار [متفق عليه]، وصلى الله عليه وسلم، وعلى آله، وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان، الذين قال فالنعم: (أن في الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة).

حين ذُعيت للمشاركة في فعاليات المعرض الخامس للتوعية بأضرار المخدرات، سأمت نفسي ، ما الذي يحمل شخصاً ما ، فضلاً عن آلاف ، وربما ملايين الأشخاص ، أن يتعاطوا المخدرات ، رغم ما يترصّون له من التبعات الدينية ، والجزائية، والصحية، والاجتماعية الخطيرة ؟ وكان الجواب أحد أمرين ، إما بحث عن سعادة موهومة ، أو هرب من واقع مرير [ذكرت حينئذ قول بعض العارفين : (مساكين أهل الدنيا ! خرجوا من الدنيا، وما ذاقوا أطيب ما فيها؟ قيل : وما أطيب ما فيها ؟ قال : محبة الله، والأنس به، والشوق إلى لقائه ، والتنعم بدضرة وطاعته) .

أيها الأحبة ؛ أما السعادة فلا ، ولم ، ولن تتحقق للإنسان بدون الإيمان الذي هو جنة الدنيا، التي تؤهله لجنة الآخرة ، قال بعض الصالحين : [إنه ليمر بي الأوقات أقول فيها : إن كان أهل الجنة في مثل هذا ، إنهم لفي عيش طيب]، وقال آخر : من قرت عينه بالله تعالى ، قرت به كل عين ، ومن لم تقر عينه بالله تقطع قلبه على الدنيا حسرات ، وأما الهرب من واقع مرير ، فلا ، ولم ، ولن يلتقط أنفاسه ، ويسكن باله (إلا بالفرار إلى الله، والتجوء إلى حماه. قال ابن القيم ، رحمه الله ، [إن في القلب فاقة لا يسدها شيء سوى الله أبداً . وفيه شعث لا يلمه غير الإقبال عليه . وفيه مرض لا يشفيه غير الإخلاص له ، وعبادته وحده) .

- نماذج من عيش أهل جنة الدنيا :

إنها جنة الإيمان ، التي يتفيؤ ظلالها الوارف المؤقنون من عباد الله ، وهم يعيشون بين الناس ، يأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق ، ويألمون ، ويجوعون ، ويمضون ، ولكنهم في حصن حصين ، وحرز مكين ، لإيمانهم برب العالمين .

نوح : جناه عاش فيها نوح ، عليه السلام ، الله سنة إلا خمسين عاماً ، وهو يدعو قومه ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاراً ، حتى إذا استنفد جميع الوسائل ، ولقي من قومه صنوف الأذى والسخرية ، رفع هذه الدعوة الحرى إلى ربه فقائلاً : (مَثَلُوت فَانصُرْنِي فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝ [القمر: ١٠-١٤] .

إبراهيم : جنة وجد زوجها ، وتسيمها ، إبراهيم ، عليه السلام ، وهو يلقى في النار الدنيوية ، التي أجيجها قومه الغاضبون ، فيقول : حسبي الله ونعم الوكيل . ويعرض له جبريل ، عليه السلام ، فيقول : يا إبراهيم ، ألحك حاجة؟ فيقول : أما إليك فلا ، وأما إلى الله فبلى، فيقول الرب القدير، (يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝ [الأنبياء: ٦٩] .

موسى : جنة أولها موسى ، عليه السلام ، حيث سرى ببني إسرائيل ، ليلاً ، فراراً من بطش فرعون وقومه، الذين يقتلون أبناءهم، ويستحيون نساءهم ، حتى إذا بلغ بهم سيف البحر، ألحقهم فرعون وجنده ، (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۝ [طه: ٧٨]، البحر أمامنا ، وفرعون خلفنا ، فقال وثقاً بالله، (كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۝ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ۝ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ۝ [الشعراء: ٦٢-٦٦] .

محمد : جنة وجد بها محمد بن عبدالله، صلى الله عليه وسلم، حين أوى إلى غار ثور في طريق هجرته ، حتى بلغه الطلب، قال صاحبه أبوبكر الصديق، رضي الله عنه : [يا رسول الله ! والله لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لرآنا] فيقول مطمئناً صاحبه، (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ [التوبة: ٤٠] .

أنس بن النضر ؛ جنة وجد ريحها أنس بن النضر ، رضي الله عنه ، حين خرج يسابق الصحابة إلى الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم أحد ، ويقول : (واها لريح الجنة ! إني لأجد ريحها دون أحد) ثم وجدوا به سبعين ضربة ، فما عرفه إلا أخته ببنانه .

خبيب بن عدي : جنة تنعم بها خبيب بن عدي ، رضي الله عنه ، وقد خرجت به قريش إلى التنعيم ليصلبوه، فقال لهم :(إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين، ففعلوا) وقد دنحك فارحكب ، فركع ركعتين، أتمهما ، وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : (أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعاً من القتل، لاستكثرت من الصلاة). وقيل إنه أنشد قائلاً :

إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي ... وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع
فوالله ما أرجو إذا مت مسلما ... على أي جنب كان في الله مصرعي

شيخ الإسلام ابن تيمية : وحل هذه الجنة الدنيوية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله، حين دخل سجن القلعة بدمشق ، ظلماً وعدواناً ، فقال : (ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إين رحلت فهي معي ، لا تفارقني . أنا حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة) .

(إِنَّمَا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝ [الأحزاب: ٧٢] .

ثانياً : حضور مجالس الذكر ، قال تعالى : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝ [الكهف: ٢٨] .

كان معاذ بن جبل ، رضي الله عنه ، يقول لرجل : (اجلس بنا نؤمن ، فتذكر الله تعالى) [رواه ابن أبي شيبة وصححه الألباني] . وكان عبدالله بن رواحة [يأخذ بيد الرجل من أصحابه ، فيقول : قم بنا نؤمن ساعة ، فنجلس في مجلس ذكر] .

رابعاً : فعل الطاعات تقرباً لله تعالى ، قال تعالى : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝ [العنكبوت: ٦٩] ، وقال : (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۝ [العنكبوت: ٤٥] .

خامساً : تمرّلك المعاصي خوفاً من الله تعالى ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ [الملك: ١٢] ، وقال صلى الله عليه وسلم : [النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ... فمن تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه] [رواه الحاكم وصححه الألباني] . وقال : (ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره ، إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه) [رواه أحمد والطبراني]

حياة القلب وكماله ، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه ، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر ، لاشتغلوا بها عن كل ما سواها) .

ثالثاً : تدبر القرآن العظيم ، قال تعالى : (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ [ص: ٢٩] ، (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۝ [محمد: ٢٤] . قال ابن القيم ، رحمه الله ، [وبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن ، بالتدبر والتفكر ، وهو الذي يورث المحبة ، والشوق ، والخوف ، والرجاء ، والإنابة ، والتوكل ، والرضا ، والتفويض ، والشكر ، والصبر ، وسائر الأحوال التي بها

والأعوام ، وتسلخ الموج من دينه ، دون أن يشعر بهذا المنزلق الخفي. قال تعالى حاكياً عمن أسلم قياده لغيره دون تبصر ، وتقدير للعواقب ، (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ۝ [الأحزاب: ٦٧] .

رابعاً : رهفة النوم ، تؤثر الرهفة السيئة تأثيراً بالغاً مباشراً في شخصية الفرد، فيحد نفسه ، مهما كانت خلفيته الاجتماعية والدينية ، مسوقاً للتوافق مع توجهات محيطه ، قال تعالى : (وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝ [الكهف: ٢٧] ، وقال : (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ [الفرقان: ٢٧-٢٨] .

وقد قيل :

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

ولعل هذا السبب من أقوى الأسباب التي اختطفت كثيراً من الناس، وحادت بهم عن الدخول في جنة الدنيا الحقيقية، جنة الإيمان ، وسارت رجتهم إلى جنة موهومة ، مزعومة ، هي في الواقع ، جحيم المخدرات .

وهكذا ؛ فإن نور الإيمان يتفاوت في القلوب بقدر تحصيل هذه الأسباب . قال ابن أبي العز الحنفي ، رحمه الله ، [تفاوت درجات نور " لا إله إلا الله " في قلوب أهلها لا يحصيها إلا الله تعالى ؛ فمن الناس من نور " لا إله إلا الله " في قلبه كالشمس ؛ ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري ؛ وآخر كالمشعل العظيم ؛ وآخر كالسراج المضيء ؛ وآخر كالسراج الضعيف . ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم ، وبين أيديهم على هذا المقدار ، بحسب ما في قلوبهم من نور الإيمان والتوحيد ، علماً وعملاً) .

أسباب نقص الإيمان :

أولاً : الغفلة ، قال تعالى : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۝ [الأعراف: ١٧٩] ، وقال صلى الله عليه وسلم : [إن الله يبغض كل جعظري ، جواظ، سخاب بالأسواق ، جيفة بالليل ، حمار بالنهار ، عالم بأمر دنياه ، جاهل بأمر دينه] [صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: ٢٩٨٧] .

ثانياً : التهاون بأوامر الله ، بترك الواجبات ، أو فعل المحرمات . قال تعالى : (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ [الأنعام: ٤٤] .

ثالثاً : التأثير الإعلامي ، ان ما قلمته وسائل الإعلام الغربية والشرقية من نصح ثقافاتها الجاهلية ، من عروض مغرية ، ولافتات براقة ، وتفنن في الإغراء والتأنق ، لتنحت في صخرة الإيمان ، مع تعاقب الليل والنهار ، وتوالي الشهور

نسأل الله أن يعيدنا ،وجميع المسلمين من مضلات الفتن ، وأن يقي مجتمعاتنا الإسلامية الشرور والآثام ، إنه ولي ذلحك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم على نبيه محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه / د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي
عنيزة ، في ١٤٢٤/٨/٢٣هـ

(إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ ٢٤) يونس

ترخيص وزارة التجارة والصناعة رقم ١٠١ بتاريخ ١٤٢٧/٣/٢٥ هـ
هاتف : ٠٦٣٦٥٧٣٣٣ ، ناسوخ : ٠٦٣٦٥٧٣٣٣ ، عنيزة ص.ب : ٢٤٦٠ ، الرمز : ٥١٩٩١
جوال : ٠٥٠٢٢٢٤٦٨ ، البريد الإلكتروني : al musheer@al musheer.com